

كلمة البروفسور سليم دكاش اليسوعي، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، في حفل تخرّج دفعة 2022 لطلاب كليتي الهندسة والعلوم، في 30 حزيران (يونيو) 2022، في الساعة السابعة والنصف مساءً، في حرم العلوم والتكنولوجيا في مار روكز.

حضرات السادة والسيدات نواب رئيس الجامعة، والعمداء والمدراء،  
حضرات السيدات والسادة المعلمين والموظفين الإداريين،  
حضرات أولياء أمور الطلاب الأعزّاء،

أعزّاءنا المتخرّجين الـ 262 من المعهد العالي للهندسة في بيروت ESIB، ومعهد الهندسة الزراعية العالي لدول البحر المتوسط؛ ومعهد هندسة الزراعة والصناعات الغذائية العالي ESIA-ESIAM والمعهد الوطني للاتصالات والمعلوماتية INCI والـ 196 من كلية العلوم،

إنّه لمن دواعي سروري أن نجتمع معاً في حفل التخرّج وتسليم الشهادات هذا، بعد حوالي ثلاث سنوات من الانقطاع، حتّى لو لم تكن الظروف الصحيّة مثاليّة، من أجل الاحتفال بنجاحاتكم. يقول أحد المؤلّفين المعروفين "السبب الذي توجّه من أجله التهاني هو نجاحكم" وسأضيف النجاح في تكوين شخصياتكم المتميّزة والرائعة ! لذلك نتقدّم بالتهنئة للفائزين من كلية الهندسة وكلية العلوم. شهادتكم ليست مجرد أوراق ستصبح قديمة، شهادتكم جواز سفر لمدى الحياة، لأنّها صيغت بذكاء وحماسة، فهي إذن الانتصار على الجهل والإهمال، وانتصار التميّز وحبّ الحياة.

أودّ أن أتحدّث إليكم عن الرجاء ! قد يُصدّم البعض منكم من الحديث عن هذا في سياق الانهيار في بلدنا الذي يطال جميع المستويات. أنا لا أتحدّث عن أمل سهل وهشّ وساذج قائم على تمنّيات وأفكار غير واقعيّة. لا، أنا أتحدّث عن نوع الأمل النقديّ الذي ينبع من التقليد اليسوعي والإنسانيّ لجامعتكم، جامعة القديس يوسف. بهذا المعنى، فإنّ الرجاء الذي يواجه الأزمات الدوريّة الفاسية المعروفة في بلدنا يقوم على تجربة وتاريخ، تاريخكم في هذه الجامعة التي تخرّجتم منها ؛ أعتقد أنّ هذا الرجاء يمكن أن يكون بمثابة قيمة مشتركة، كفضيلة لنا جميعاً في هذه الأيام الصعبة. صحيح أنّ الرجاء، كما يقول فلوبيير Flaubert، هو فضيلة تتمثّل في الإيمان بدون دليل، وفي عبادة ما يجعله المرء والانتظار بحرارة لما لا يعرفه على الإطلاق. لكن هذا الرجاء بعالم جديد، وبلبنان جديد وبتحقيق أحلامكم الشخصيّة يجب أن يعتمد على الطاقة الداخليّة الكامنة في داخلكم والتي ستكونون شهوداً لها. في خمس نقاط، أخبركم لماذا يحتمّ عليكم الواجب أن تعيشوا الرجاء :

بادئ ذي بدء، أنتم أبطال لأنكم خلال هذه السنوات الثلاث الماضية، من أزمة إلى أخرى، وكأنتنا كنّا نتعرّض ونتعرّض للاضطهاد والمطاردة، حافظتم على المسار، أقوياء في إيمانكم وروحكم النشطة، وفي قدراتكم الفكرية والنفسية وخاصة في عائلاتكم. استقال البعض، لكنكم واجهتم تحديّ الاستمرارية حتّى النهاية للتخرّج ونيل شهادتكم.

ثانياً، لقد أمنتم بجامعتكم وبالمسؤولين في كليّاتكم ومعاهدكم الذين واجهوا، على الرغم من الأزمات المتعدّدة، التحديّ المتمثّل في الاستمرار، إمّا من خلال التعليم عن بعد أو حضورياً، ولكن دائماً بهدف التميّز. اليوم، وغداً، نواصل العمل للحصول على أفضل تنشئة والحصول على أفضل شهادة حتّى نتتمكّنوا من الوصول المستحقّ إلى المناصب والمهن، وهي من أكثر أحلامكم سحرًا.

ثالثاً، أظهر العديد منكم أنّكم مواطنون بكلّ معنى الكلمة، من خلال المشاركة مع الجامعة، سواء من خلال دائرة الحياة الطلابيّة، وعلميّة اليوم السابع أو جامعة القديس يوسف في مهمّة، أو خارج الجامعة، مع منظمات غير حكومية تعمل على الصالح العامّ، من أجل زرع الفرح والسلام، والمحبة والأخوة، بتنظيف الشوارع أو توزيع الأدوية والموادّ الغذائيّة وتدريب فاعلين في الحياة المدنيّة بغية التغلّب على اليأس والجهل.

رابعاً، لقد شاركتم في أعمال شفاء الكثيرين من المنهارين خاصة بعد انفجار مرفأ بيروت ومن الجحيم الذي نعيشه، مع العلم أنّ الكثير من الجروح والاعتداءات على الناس لم يتم علاجها أو شفائها بعد. إذا نظرنا إلى تداعيات الانفجار المذكور والذي تسبّب في وقوع العديد من الضحايا، فسنجد أنّ كل شيء يتمّ القيام به لمنع كلمة من العدالة وإدانة المسؤولين عن هذه المذبحة اللاإنسانية.

خامساً، لقد تعلّمتم، في هذه الجامعة، أنّ "من يرغب ويرجو ويؤمن بنفسه، يسعده أن يرى الآخرين يرجون ويؤمنون بأنفسهم"، كما قال مارتن لوتر كينغ Martin Luther King ذات مرّة. لقد شاركتم وتشاركون في عمل الحقيقة، ضدّ الكذب والأيدولوجيا؛ الحقيقة أنّنا مواطنون لبنانيّون متساوون، فنحن وأنتم صانعو مستقبل لبنان سيّد وحرّ ومستقلّ. كأسرة جامعيّة، نردّ على أزمة العنف والتهديدات التي نمرّ بها كلّ يوم من خلال المطالبة باستعادة دولة الحقوق والواجبات ودولة المواطنين.

كيف نقول، مع كلّ هذا، أنّنا لا نحتفظ برجاء أفق جديد؟ كيف نجرؤ على الاستقالة من مستقبل بلدنا وأحياناً شتمه وإعلان أنّنا لم نعد نريد المواطنة اللبناييّة؟ نحن مدعوّون للعيش في استمراريّة الأمل والرجاء كترياق للأمراض الاجتماعيّة التي تطغى علينا ومواصلة مقاومتنا. نحن مدعوّون، من خلال عيش المحبّة الموهوبة والمقبولة، لنكون شهود أمل وعزاء لكلّ الناس الذين يعانون من الألم والحزن والمآسي والصعوبات. أشار المؤرّخ اليسوعيّ جون أومالي John O'Malley إلى أنّ مهمّتنا في الجامعة اليسوعيّة، وبالتالي في جامعة القديس يوسف، تكمن في تكوين أشخاص من أجل الآخرين يعملون كوزراء يبيّئون العزاء لهم. في عالم جريح ومرهق، هذا هو نوع الأمل الذي نحتاجه بشدّة ونحن نتخبّط في هذه الحالة من اليأس.

ثقوا، أيّها الخريجون الأعزّاء، بالرجاء المتجدّر فيكم، اعملوا من أجل الصالح العامّ كما لو كنتم تعملون لمصلحتكم الخاصّة، ولترافقكم يد الربّ الإله، وصلوات أهلكم، وأمنيات المسؤولين عنكم ومعلّمكم على طريق صعب، لكنكم مؤهلون لتخطّي كلّ المزالق، من أجل أن تعيشوا مزوّدين بقوة إيمانكم بأنفسكم وبلبنانكم، لبنان الحريّات، والعدالة، والاعتزاز والأمل بأيّام سعيدة.